مقدّمة

الطفل أمانة غالية أودعها الله فى يد الأبوين ليرعياه و يهتما به و يُنشّئاه النشأة الصالحة التي تُعدّه لأَن يكون فردًا بناءً فى المجتمع. و المعلمة بدورها تتحمل جزءًا كبيرًا من هذه الأمانة فتهتم به و ترعاه منذ اللحظة الأولى التى يدخل فيها إلى المدرسة و حتى يعود إلى ذَويه كما تقع عليها مسئولية اختيار نوعية و أسلوب التعامل معه.

يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين : " الصبي أمانة عند والديه و قلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة فإن عُوّد الخير وعُلِّم ونشأ عليه سعد فى الدنيا و الآخرة أ وشاركه في ثوابه أبواه وكل مُعلّم له و مُؤدّب، وإن عُود الشر وأُهمِل إهمال البهائم شقي و هلك و كان الوِزرُ فى رقبة القيّم عليه و الوالي له "[1].

وبالإضافة لما سبق فإن جميع الأديان تسعى للأخذ بيد الطفل منذ ولادته، و تعويده الخير، و تعليمه إياه أسلوبًا و محتوى، و تَنشِئَته عليه بأسلوب منظم و مسئول للوصول به إلى مرحلة ناضجة من الخلق الرفيع.

و علماء التربية المعاصرين حددوا بأن لتوجيه سلوك الطفل غاية أخرى تضاف للغاية الأولى و هى تنمية و تربية الرقابة الذاتية فى الأفراد و تنمية الحس المرهف لديهم بحيث يصبح السلوك لدى الأفراد نابعًا من ضميره الإنساني أي من داخل أعماقه.

وهكذا يتحول الطفل من إنسان لا مسئول إلى إنسان مؤمن و حارس أمين لمجتمعه و نفسه أيضًا.

و قد سُمى هذا فى المصطلحات العلمية الحديثة للتربية تنمية (الضبط الداخلي) لدى الطفل، و المعروف أن التوجيه لهذه العملية يبدأ من السنوات الأولى فى مرحلة الطفولة المبكرة.

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين جزء 1 ص 28

و مفهوم توجيه السلوك بواسطة الضبط الداخلي، يكون نابعًا من خصائص نمو الطفل فى المرحلة العمرية التي يمر بها خصائص النمو الجسدى – الحركي، خصائص النمو الاجتماعى، خصائص النمو العقلى الفكرى، خصائص النمو العاطفى.

و قد رأينا التعرض باختصار لفترة المراهقة لمحاولة إصلاح ما يمكن أن يكون قد فسد من سلوك فى مرحلة الطفولة و لكون المعلمة هى المحرك الأهم فى عملية توجيه السلوك لذا سنتناول موضوع " المعلمة القدوة " و التى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعملية التربية و توجيه السلوك باعتبارها صفة أساسية مطلوب من المعلمة ممارستها دائمًا.

و هنا لابد من طرح الأساليب الشائعة فى توجيه السلوك، مثل العقاب و الثواب فهذا الذي طالب ببحثه عدد كبير من المعلمات و المعلمين، و القائمين على التربية و التعليم، و سنعرض أمثلة واقعية مأخوذة من الميدان لحالات سلوكية تمر بها كل معلمة من خلال عملها، و تتصف معظم هذه الأمثلة بأنها طرق وقائية تستخدمها المعلمة قبل أن تتفاقم، فتصبح سلوكًا غير سوي و تؤدي إلى مشاكل سلوكية تحتاج إلى علاج.

كما لابد أن نذكر بأن العملية التربوية ليست تعديل السلوك السلبي إلى سلوك إيجابي فقط، و إنما الارتفاع بمستوى السلوك الإيجابي إلى مستوى إيجابي أعلى.و أهم نقطة أن نعرف بأن التغيير أمر ممكن و طبيعي و فطري متى توافرت الرغبة و العزيمة لعمل ذلك.

و من أقوال سيد قطب " إننى أؤمن بقوة المعرفة، أؤمن بقوة الثقافة، و لكنى أؤمن أكثر بقوة التربية "[1].

من مقترحات كبير العلماء العرب د. أحمد زويل[2]:

ليسمح لي كبير العلماء العرب أن يشرفني بأن أبدأ بحثي ببعضٍ من توصياته في بعض المجالات والتى لاتقدر بثمن ومنها:

1) يجب استخدام الاتصالات التكنولوجية الحديثة فى بناء القاعدة العلمية الحديثة.

(1) سيد قطب، مجلة الرسالة عدد 995 سنة 1952

(2) من مقابلة تليفزيونية على إحدى الفضائيات العربية

2) يجب أن نسعى للتحديث العلمى مع الاحتفاظ بالهوية العربية.

3) يجب أن يكون للإعلام العربي قوة أكبر للتركيز على القدرات التعليمية التى تنمى قيم العلم. وقيمة القدرة التحليلية ؛ والتى تؤدي لمزيد من الابتكار.

4) من أهم أدوار الإعلام هو الخبر ومن شروطه أن يكون الخبر صحيحًا، ثم التعليق عليه وتحليله من أكبر علماء العالم للوصول لأقصى غاية ممكنة منه، وخاصةً إذا كان خبرًا علميًّا (ورقة علمية).

5) لابد من تغيير مفهوم التعليم في الإعلام العربى ليكون قائمًا على التفكيروالابتكار للمساعدة فى نهضة العلم.

6) كلما زادت نسبة البحث العلمي في أى بلد، زادت نسبة نموه الاقتصادي.

7) يجب اتباع أسلوب البحث العلمي فى البحث عن الحقيقة في أى مادة سواء كانت علمية أو اقتصادية أو سياسية أو أي مجال آخر من المجالات .....؟

8) يجب أن تكون هناك ثورة في جميع وسائل الإعلام ولن تكون هذه الثورة إلا فى صالح الكاتب الجيد والمذيع الجيد والمؤلف الجيد الذى يبحث عن المادة الجادة والخبر الصحيح وقدرته على طرحها للحوار الهادف، والتحليل العلمي من خلال استعانته بكبار العلماء المتخصصين في هذه المادة وهذا يؤدى إلى مزيد من الابتكار، ومن هنا سينشأ قيمة الإعلام الشخصي والذي سيبحث فيه القارىء عن إعلامي بعينه، عُرف بأسلوبه العلمي الدقيق فى البحث عن المادة العلمية وطريقة طرحها وحُسن اختيار مُحلليها.

9) يجب تعلّم ثقافة جديدة في الكثير من السلوكيات ومنه على سبيل المثال تعلّم قيمة الحوار المتبادل البنَّاء، ولاضَرر من وجود اختلاف فى الآراء حتى نصل لأفضل النتائج، وسوف نرى أن تقبّل الاختلافات والرأي والرأي الآخر سيولد نتائج أفضل بكثير – كما يجب أن تنصب الحوارات على الموضوع المطروح وليس على الأشخاص ؛وذلك يُنمّي روح العمل الجماعي فى كل المجالات والذى بدوره يؤدى دائمًا الى نتائج أفضل بكثير مما لو كان العمل بشكل فردي؛ ويجب ألّا يُسبب الاختلاف فى الرأي أي ضغينة في النفوس.

10) يجب التعامل مع التَّميُّز فى أي مجال وتشجيعه ومساعدته للوصول لأفضل النتائج من أجل النهوض بالأمة .

11) يتحتم على أي نظام سياسى الاستعانة بتكنولوجيا المعلومات الحديثة واحترام العقل البشري لمزيد من التقدم والرقي؛ لأنه لم يعد هناك مجال لوقوف السياسة أمام الثورة التكنولوجية الهائلة للإعلام ومسؤوليته.

ومما سبق وجب علينا أن نبدأ والآن بأن يكون العلم أول وأهم أولوياتنا والاستعانة بأحدث الأساليب العلمية والخبرات العالمية السابقة، والعمل على رصد أكبر ميزانية في الدولة لتطوير التربية والتعليم والبحث العلمى لتخريج أجيال قادرة على اللحاق بالتطور العلمي العالمي والذي تخلفنا عنه لِعدّة عقود من الزمن.

ومن هنا لزم التنويه أن ذلك كله لن يتم إلا من خلال المُعلّم والذى يجب أن ترجع له هيبته واحترامه وتقديرًا لدوره الأعظم فى بناء الأمم وأن تكون له أفضل صفة اجتماعية ومادية فى المجتمع لأنه في النهاية يكون له الفضل الأول في تربية وتعليم جميع شرائح المجتمع بدايةً من العالِم ومُرورًا بجميع فئات المجتمع المتعلمة والمتسلحة بالعلم والأخلاق.

ونذكر هنا قول شاعرنا العظيم أحمد شوقى :

قـف للمعلم ووفِّـه التبجيلا كـاد المعلم أن يكون رسـولا

وقول شاعر النيل حافظ ابراهيم :

إنـما الأمـم الأخـلاق مـا بقيت فإن هُمُ ذَهبت أخلاقهم ذَهبوا